اصول التعليم الحديث

الدور السيكولوجي

هذا الدور ممتزج امتزاجاً كلياً بالدور الفسيولوجي والعقلي حتى ان الانسان قلما يستطيع ان يميز بينهما . ولقد نشأت هذه الادوار كلها من الدور الطبيعي كما تقدم القول . على ان الفرق بين هذه الادوار يدرك بدرس خصائص كل دور على حدة ولذلك فاننا نستطيع ان نجمع خصائص الدور السيكولوجي بما يأتي —

كان من هذا الدور ان يرقي مبادئ الدور الطبيعي ولذلك جعل قواعده الاولية

(اولاً) ان التعليم ليس هو التقدم الخارجي القائم بمعرفة اللغات والانشاء معرفة سطحية بل هو اظهار القوى المغروسة في الطبيعة الانسانية . فعمل الدور السيكولوجي اذاً ان يضع هذه الافكار في صور عملية ويدخلها الى المدارس فعلاً

(ثانياً) الاجتهاد في التوفيق بين التعليم القديم اي التعليم بالكد والسعي وبين التعليم الجديد اي التعليم لاجل المنفعة

(ثالثاً) ان التعليم يجب ان يكون اساسه ترقية قوى الانسان بواسطة الملاحظة والاختبار

(رابعاً) السعي لاصلاح طرق التعليم في المدرسة وتهذيب المعلم ليتسنى له ان يقوم بوظيفته حق القيام

(خامساً) الشفقة على التلميذ ومراعاة اقتداره العقلي ومنفعته الخاصة

(سادساً) الاهتمام بالتعليم الابتدائي الامر الذي لم يفطن له المصلحون الاولون حتى كومينيوس نفسه

(سابعاً) القصد من التعليم ارتقاء الفرد ولذلك قال بستالوتسي كلمته المشهورة «ان التعليم هو ارتقاء جميع قوى الانسان على السواء»

(ثامناً) ما دام القصد من التعليم ارتقاء الفرد فينتج من ذلك اذاً ان كل فرد في العالم يجب ان يرتقي بحسب اقتداره العقلي واستعداده الطبيعي

ولقد كان للدور السيكولوجي وجهتان الاولى عملية وقوادها بستالوتسي وهربرت

وفريبل والثانية منطقية وقوادها كنت وفكتي وشلك وهكل . ونحن انما نبحث هنا في الوجهة العملية لا غير

لا ريب انهُ من الخطإ ان ننسب الى بستالوتسي كل الاصلاح التعليمي الذي حدث في القرن التاسع عشر . لان بستالوتسي لم يكن سوى موفق بين اراء روسو وجامع بين تعليمهِ الايجابي والسلبي كما تقدمت الاشارة اليهِ . زد على ذلك ان كل المبادئ والنظريات والتعاليم المنسوبة اليهِ انما قام بها تلامذتهُ بعد ان اخذها هربرت وفريبل وزادا عليها لتعمقهما في الفلسفة ولتوسعهما في العلوم . فبنياً على اساسهِ بناء ثابتاً لم يستطع بستالوتسي نفسهُ ان يقوم بهِ . فتعاليم بستالوتسي اذاً لم تكن كاملة بل كانت الجرثومة التي بُني عليها الاصلاح الحديث . ولذلك يجدر بنا ان ندرس حياة هذا المصلح العظيم لنستطيع ان نفهم المبادئ الاصلاحية التي قام بها

هنري بستالوتسي (١٧٤٦ — ١٨٢٦)

شغف هذا الرجل منذ حداثتهِ بالتعاليم التي وضعها روسو في كتابهِ « اميل » وصار ميالاً الى الثورة بكل قواهُ . وبعد ان كان عاقداً نيتهُ ان يُسامَ تعليماً ترك ذلك واشتغل بالفلاحة حسب الطرق الزراعية الحديثة . ولما لم ينجح في عملهِ حوّل مدرستهُ التي كان قد فتحها قبل ذلك الى مدرسة للاولاد المتشردين . وقادهُ عقلهُ في تعليم ابنهِ الى المساوئ والمحاسن التي وضعها روسو في كتابهِ « اميل » المار ذكرهُ . ومن هنا ابتدأ عملهُ العظيم . وكان اول شيء عملهُ انهُ وضع كتاباً سماهُ « جورنال الاب » اودع فيهِ كل اختباراتهِ في تعليم ابنهِ

ومن سنة ١٧٧٥ — ١٧٨٠ شاد مدرسة لتعليم الفقراء وادخل اليها بعض الصنائع ايضاً كغزل القطن وحياكتهِ وقد ذكر ان العلم والصناعة يجب ان يسيرا جنباً الى جنب ولكن لما لم يكن في استطاعتهِ ان يقوم بذلك اخفق مسعاهُ وذهب مشروعهُ ادراج الرياح

ومن سنة ١٧٨٠ — ١٧٩٨ اكبَّ على الكتابة والتأليف لانهُ كان متشرباً محبة الثورة وكان الفكر الاساسي الذي دارت عليهِ كتاباتهُ « ان الاصلاح الاجتماعي والسياسي يقوم بالتعليم الذي يصلح الفرد ادبياً وعقلياً » . وكان اهم كتبهِ رواية « ليونارد وغرترود » . وقد قصد في هذه الرواية ان يصور حياة القرويين البسيطة والتغيير العظيم الذي استطاعت غرترود المرأة الجاهلة البسيطة ان تحدثهُ في القرية . فانها باجتهادها وثباتها وصبرها في تهذيب اولادها قدرت ان تنقذ زوجها ليونارد من الكسل والسكر . وقد كان

لهذه الرواية دويٌّ عظيم في القرى المجاورة فاثرت في اخلاق السكان تأثيراً كبيراً واحدثت اصلاحات شتى في كثير من القرى . وصار الكل يرون ان للولد حقًّا على الوالد فهو مسؤول عن تربيته وتعليمه وتهذيبه . وفي سنة ١٧٩٨ طرأ على بستالوتسي تغيير عظيم فانهُ رأى ان اصلاح الهيئة الحقيقي انما يقوم باظهار نقائصها بطريقة عملية فاخذ على نفسهِ امر التعليم . فهذا الرجل الذي لم يمارس هذه المهنة حتى بلغ الخمسين من العمر والذي خاب في كل عمل قام بهِ قبل ذلك الوقت صار لهُ من السلطة ما لم يكن يحلم بهِ اعظم مصلح في القرن التاسع عشر . والسبب في ذلك ان آراءهُ وانكارهُ كانت كلها نتيجة اختبارهِ

كان بستالوتسي معلماً في قرية من قرى سويسرا تدعى ستانز وكانت مدرستهُ تجمع عدداً كبيراً من الايتام الذين قتل اباؤهم في الحرب . فبين هؤلاء الايتام القيت بزرة الاصلاح الاولى ومنهم خرجت وغت . ودُعي في السنة التالية ليكون مساعداً في قرية برغدورف فوضع هنا اساس « علم الاشياء » قصد بهِ تثقيف العقل لا معرفة الشيء لذاتها . كما قال كومينيوس وغيرهُ من المصلحين . ثم اخذت الحكومة مدرستهُ على نفقتها فسنحت لهُ ان يختبر اساليب التعليم مدة اربع سنوات متتابعة مع المعلمين ومع التلامذة

وكان عمل بستالوتسي الاعظم ان يبين اساس التعليم الابتدائي اي ما هي المعرفة اللازمة للولد وكيف يجب على الولد ان يتعلم وما هي الاساليب اللازمة لذلك . فلذلك وضع سنة ١٨٠١ كتابهُ « كيف تعلم غرترود اولادها » جواباً عن المسائل المار ذكرها . ولم يمضِ على تلك المدرسة مدة حتى افتك بسبب الاختلافات التي وقعت بين مديريها ومعلميها . فاضطر بستالوتسي ان ينتقل الى ايفردن حيث تابع اختباراتهِ

التأثير الذي نتج عن تعاليم بستالوتسي

وضع بستالوتسي امامهُ غاية واحدة توجه اليها كل قواهُ وهي ان المقصد من التعليم هو اصلاح الهيئة الاجتماعية وهذا الاصلاح يجب ان يتناول كل فرد من افراد الهيئة ليس من الوجهة الدينية بل من الوجهة الاجتماعية لان لكل فرد معها كان فقيراً حقًّا في ان يهذب نفسهُ ويرقي مداركهُ على قدر ما يستطيع . ولقد ذكر في كتابهِ « كيف تعلم غرترود » ما يأتي

« ان اوربا باتباعها اساليب التعاليم السائدة فيها الآن قد وقعت في خطاء عظيم لا بل قد اوشكت ان تجني على نفسها . فهي من الجهة الواحدة قد وصلت الى اسمى درجة من العلوم والصنائع ولكنها من الجهة الاخرى قد فقدت اساس التعليم الطبيعي القائل بتعليم جميع الناس على السواء »

« ولست ارى قسماً من العالم ارتفع الى هذه الدرجة وسقط هذا السقوط الهائل كاوربا فقارنا والحالة هذه تشبهُ تلك الصورة التي مثلها لنا الانبياء رأسها من ذهب ولكن القوائم التي يقوم هذا الرأس عليها من الخزف · فاوربا بتعاليمها هذه قد جردت الشعب من المحبة والحكمة والعواطف وقوّت فيهِ عدم المحبة والايمان والاوهام والخرافات والطريقة التي اراها لسد هذا الخلل هي ان نترك التعليم السطحي ونجتهد في ترقية التعليم العقلي ومصدر المعرفة الحقيقية »

اما معنى التهذيب الجديد فقد شرحهُ بما يأتي

« التعليم الصحيح يشبه شجرة مغروسة عند مجاري المياه والبذرة الصغيرة التي تحتوي على كل خصائص الشجرة مخبوءة في التربة · والرجل اشبه بتلك الشجرة فاننا نرى في الولد تلك القوى المستورة التي تظهر في حياتهِ · · · · · تهذيب الانسان نتيجة ادبية لاغير »

فالتعليم عندهُ هو اظهار كل قوى الانسان اظهاراً طبيعياً متناسقاً متتابعاً

نظر بستالوتسي فرأى ان في كل فرد بزوراً من القوى العقلية يستطيع ان ينميها ويرقيها اذا وجد من يهتم بهِ ويأخذ بيدهِ · وان التعليم في ذلك الوقت كان مقتصراً على تلقين الولد بعض الصور والتراكيب الصرفية والنحوية وبعض القطع الانشائية واللغات الميتة وقليل من الرياضيات فقال يجب ان يتناول التعليم شيئاً اعظم من ذلك اي اظهار القوى الكامنة في الانسان وتهذيبها لكي تكون صالحة للعمل بنفسها

ولكي نفهم حالة التعليم في زمن بستالوتسي علينا ان ننظر الى المعلمين في ذلك الوقت فقد كان بعضهم من العساكر الذين اصابتهم بعض العاهات في الحروب ومن الارامل وحراس القرى وصناع القرميد وامثالهم من الذين لم تكن مهنهم تقوم بمعيشتهم فاتخذوا التعليم واسطة للعيشة لا لتقدم الامة وارتقائها · ولقد شرح دستزورك الطريقة التي كان المعلمون يتبعونها في مدارسهم بما يأتي

« كان كل ولد من الاولاد يقرأ وحدهُ اذ لم تكن الطريقة التي يتعلم بها جميع التلاميذ في وقت واحد معروفة حينئذٍ فكان كل تلميذ يأتي الى حيث يجلس المعلم فيلقنهُ المعلم حرفاً ويعيدهُ التلميذ من بعدهِ وهو لا يزال يكررهُ حتى ينطبع في ذاكرتهِ ثم يأخذ المعلم كلمة ويبتدىء يلقن التلميذ حروفها حرفاً حرفاً الى ان يتعلمها · هذه هي الواسطة التي كان يتعلم بها اولاد المدارس القراءة ولا يخفى ما فيها من المشقة والصعوبة وطول المدة التي كان يحتاج اليها التلميذ ليتعلم قراءة خالية من كل معنى · وكان التلاميذ يستظهرون آيات كثيرة من الكتاب المقدس حتى انهم كانوا يستطيعون ان يتلوا المزامير كلها غيباً في نغمة واحدة وعلى نسق واحد مما دلّ

على انهم لم يكونوا يفهمون شيئاً مما يسردونهُ وقس على ذلك الاسئلة والاجوبة ولهذا فقد كان التلميذ يخرج من المدرسة وهو لا يكاد يفهم شيئاً مما قرأهُ . هكذا كانت مدارسنا في القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر »

فالعمل الذي قام بهِ بستالوتسي عظيم جداً ولم يكن لينجح لولا انهُ مارس مهنة التعليم بنفسهِ وتوصل الى الاسلوب الصحيح القائم بتحليل كل شيء الى ابسط حالاتهِ وغرس معناهُ الحقيقي في ذهن التلميذ بواسطة الملاحظة والاختبار والتجربة

ولقد جمع مورف احد تلامذة بستالوتسي مبادىء التعاليم البستالوتسية بما يأتي

(١) الملاحظة هي اساس التعليم (٢) اللغة يجب ان تقترن بالملاحظة (٣) وقت التعلم ليس وقت الانتقاد والقصاص (٤) يجب ان يبتدىء التعليم في كل فرع من ابسط حالاتهِ الى ان يصل الى اصعبها (٥) لا يجوز للمعلم ان ينتقل من موضوع الى آخر قبل ان يفهمهُ التلميذ حق الفهم (٦) غاية التعليم هي الارتقاء العقلي لا عرض العقائد الدينية (٧) يجب ان يحترم المعلم شخصية التلميذ (٨) يجب ان تكون نتيجة التعليم اظهار قوى الانسان لا وضع قوى فيهِ (٩) القوة يجب ان تقترن بالمعرفة والذكاء بالتعلم (١٠) يجب ان تكون المحبة اساس العلاقة بين المعلم وتلميذهِ (١١) غاية التعليم العظيمة يجب ان تكون التهذيب

هذه هي القوانين التي اتبعها بستالوتسي في مدرستهِ فاقبل التلامذة عليهِ اي اقبال واشتهر اسمهُ في كل الاقطار ولهذا نعتهُ الجميع « بالاب بستالوتسي » لما طبع عليهِ من الحنو والشفقة والمحبة لجميع تلاميذهِ على السواء

الطريقة الهربرتية

بنى هربرت تعاليمهُ على تعاليم بستالوتسي غير انهُ خالفهُ في الامور التالية

(١) كانت غاية بستالوتسي العظمى ان تهذب القوى العقلية في التلميذ ولكنهُ لم يُظهر كيف يحدث هذا الترقي العقلي فبيّن هربرت ان الترقي العقلي يقوم بما يدعونهُ « العمل الادراكي » (٢) اظهر بستالوتسي ان اهم الدروس المدرسية يجب ان يكون « درس العالم الطبيعي » (الطبيعيات) واما هربرت فقال ان اهم الدروس يجب ان يكون « درس العالم الادبي » (الادبيات)

بعد ان تهدم منهُ جانب كبير ثم احاطوهُ بسور على شكل الزريبة او الصيرة مما اعتادوا ان يروه في معيشتهم الرعائية

(٣) جعل بستالوتسي الاهمية الكبرى لدرس الجغرافية والحساب ودروس الطبيعة واما هربرت فجعلها للغات والادب والتاريخ

(٤) اعلن بستالوتسي ان قصدهُ هو التعليم السيكولوجي ولكنهُ رفض الفلسفة العقلية القديمة ولم يذكر اسلوباً اخر عوضاً عنها . وبالجملة فان هربرت رقّى تعاليم بستالوتسي وبناها على المنطق والفلسفة الامر الذي لم يهتم لهُ بستالوتسي بولس شحاده

الآثار المصرية

مقبرة طرخان

اصدرت المدرسة الانكليزية التي تبحث عن الآثار المصرية تقريرها السنوي وفيهِ ذكر الآثار التي اكتشفت سنة ١٩١٢ . واهمها مقبرة على ٣٥ ميلاً الى الجنوب من القاهرة وفيها من الآثار ما يرجع عهدهُ الى ايام الدول الاربع الاولى وآخر دولة سبقتها في مصر وعُثر فيها على نحو ٦٠٠ قبر تشغل مساحة كبيرة في الصحراء ما عدا القبور التي اخربت قديماً وهي تزيد على هذه عدداً . وتعرف هذه المقبرة بمقبرة طرخان وهو اسم القرية المجاورة لها وتعد من اهم المكتشفات التي يرجع عهدها الى اوائل عصر التاريخ . وليس الى الشمال منها في جميع مصر آثار تحاكيها في القدم

وعرف عصر هذه المقبرة ومبلغ قدمها من شقف الخزف التي وجدت فيها فقد وجد في بعض القبور شقف من عهد ملك حكم قبل مينا وفي آخر شقف اخرى من عهد نارمر مينا . وكبر هذه المقبرة وقدمها يدلان على انهُ كان في تلك الجهة مدينة كبيرة قديمة في نواحي القرية المعروفة بكفر عمار . وقد قامت هذه المدينة قبل مدينة منف وقبل عهد الملك مينا بقرون قليلة . ويظن انها بنيت اولاً لتكون قاعدة الملك في الوجه البحري قبل مدينة منف ثم عدل عنها في العصر الذي ابتدأ فيهِ بناء الاهرام . وفي هذه الآثار دليل على ان ملوك ابيدوس بسطوا سلطانهم على تلك الجهات . ومن القبور ما يرجع عهدهُ الى عصر الدولة السادسة والدولة الحادية عشرة والدولة الثانية عشرة . ويظهر ان تلك البقعة هجرت واوحشت من السكان بعد ذلك حتى عصر الدولة الثالثة والعشرين

ومن اغرب الآثار التي وجدت في هذه المقبرة قطع من الخشب والثياب القديمة التي لم تبلَ على كرور الايام . فقد وجدت قطع من نسيج الكتان لا تزال على جدتها ولونها كانها لم